سلسلة يشرف عليها
كمال عمران

هذه السلسلة تصدر
بالتعاون مع وزارة الثقافة

مصطفى بدري

الرؤية السياسية
من خلال رسالتي

*محمد بيرم الخامس
ملاحظات سياسية عن التنظيمات
اللازمة للدولة العلية.

*مصطفى فاضل باشا
من امير إلى سلطان.

الدار التونسية للنشر

ISBN 9973 - 12 - 140 - 6
9973 - 12 - 243 - 7

جميع الحقوق محفوظة
للدّار التّونسية للنّشر 1993.

الإهداء

إلى الرئيس المصلح

زين العابدين بن علي

عرفانا وإخلاصا

تمهيـــد

لما كان البحث العلمي عنصرا أساسيا للتقدم الاجتماعي والاقتصادي، نرى أن الدول المتقدمة تعتمد على الجامعات في إجراء البحوث الضرورية لحل المشكليات ومعالجة المعضلات التي تتعرض سبل نموها وارتقائها. فالبحث العلمي هو العمود الفقري للجامعات العريقة. وما تطور المجتمعات الراقية سوى نتاج للتفاعل المثمر بين مختلف العناصر المادية والعلمية والإدارة الصادقة في الدفع الحقيقي نحو الرقي. ولا يحصل ذلك قطعا إلا بدرك المعارف واستخدامها بما هو كفيل بتحقيق الجدوى.

ومن الخطإ الخفي الاعتقاد بأن العلم قائم بذاته. والقول بجواز الفصل بينه وبين تبعاته، انحراف بأصوله الجميمة النابعة من الشعور بالحاجة إلى اكتسابه وذهول عن مراميه الطموحة نحو المنشود. ونحن نتساءل عن جدوى علم لا نسعى إلى سبر أغواره ولا نفع من ورائه؟ إذ أن علما بلا عمل كقول بلا فعل يطوي الأجل ويقتل الأمل. وهذا ما يجعلنا نؤكد أن البحث العلمي يجب أن يرتبط بمشاكل المجتمع الذي عنه يصدر وأن يحاول الإجابة عن المشاكل الملحة التي تطرح.

وما من شك في أن الحداثة أضحت أكثر المفاهيم والمصطلحات دورانا في الخطاب العربي المعاصر بشكل يوحي أن لا حداثة في تاريخ الفكر البشري من قبل، علاوة على أن تكون في تاريخ الفكر العربي الإسلامي. الأمر الذي ألبس المفهوم ضبابية ووسّع حقله الدلالي بل نوّعه إلى حد الغموض والفوضى فالتعمية. ونحن نوقن أن للعرب كما لجميع الأمم والثقافات الحية حداثة، بل حداثات ساهمت فيها بنصيب يزيد في مراحل ويضمر في أخرى، وما كانوا

منقطعين عنها. وهذا راجع إلى مفهومها الأصلي بما هي إبداع وتفاعل مستمر بين الواقع الموجود والطموحات المطردة نحو الأفضل المنشود.

ذلك أن الحداثة بالتقدم، فعل تراكم وإضافة وليس فعل قطع وانقطاع. وهذه الإضافة لا تكون إلا بدرك الماضي واستقرائه والبحث في جوهره الحيوي الخلاق، لا لإعادة انتاجه وإنما لتلمّس الروح الإبداعية للأمم التي أنتجته. وبهذا نحفظ التواصل مع الماضي دون تكرار له لنعيش حاضرنا دون انبتات.

ونحن على وعي تام بأن الحداثة كما نعيشها في هذا العصر الجديد منذ الثورة الصناعية، تختلف عن الحداثات السابقة في تاريخ البشرية، فإذا كانت الحداثات قديما تجديدا فهي اليوم فِعْلٌ إنسوي ضارب في العلمنة.

وفي هذا الإطار، يندرج اهتمامنا بالفكر السياسي عند بعض مفكري الحداثة في القرن XIX باعتباره الحصيلة الثقافية المولدة للفكر الإصلاحي. عسانا بذلك نستجلي غموضا ناتجا عن تبيّن مساهمة الفكر العربي الإسلامي في

بلورة آفاق مجتمع حديث، ونتلمس طريقا لا يقوم على البتر واستقدام نموذج خارجي وإنما يقوم على التشذيب والإضافة.

ولا مراء في أن كل فكر إصلاحي هو جماع تفاعل ثقافي واجتماعي خصيب متنوع.

المقدمة